الفصل الأول

مدخل إلى الإسلام

- الإسلام دين الأنبياء والمرسلين جميعا
- عقائد وتعاليم أساسية فى الإسلام
- الموقف مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى

مدخل إلى الإسلام

تعريف :

تأتى كلمة الإسلام من مادة (سلم) . ويقال . سلّم) : انقاد ورضى بالحكم . وسلَّم على القوم : حياهم بالسلام . وسلّم أمره لله : أسلمه إليه سبحانه . والسلام : السلامة والبراءة من العيوب . والسلام : الأمان والصلح . والسلام : اسم من أسماء الله الحسنى ، وقد سميت الجنة : دار السلام لأنها دار السلام الأبدى والنعيم المقيم . « سَالَم » : صالح . واستسلم : انقاد .

والإسلام : الخضوع لله والعيش وفق منهجه ومن ثَمَّ الحياة فى سلام دائم . وبذلك يكون المسلم هو كل من أسلم قلبه ووجهه إلى الله .

*

أولا : الإسلام دين الأنبياء والمرسلين جميعًا

لم يكن الإسلام الذى دعا إليه محمد رسول الله ﷺ فى مطلع القرن السابع الميلادى دينًا جديدًا ، إنما كان تجديدًا لدين الله الحق ، الإلٰه الواحد ذى الدين الواحد ، وذلك بعد أن تعرض لتشويه وانحراف ودخلت عليه أوهام وضلالات من صنع البشر .

فلقد خاطب الله نبيه محمدا فى القرآن بقوله : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٦١] .

والإسلام دين الأنبياء والمرسلين جميعًا ومن تبعهم من عباد الله الصالحين وذلك منذ بدء الخليقة إلى قيام الساعة . فهذا ما يقوله القرآن .

فلقد كان نوح – أبو البشرية الثانى – مسلما ، إذ قال لقومه : ﴿ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ

وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ * فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة يونس : ٧١ - ٧٢] .

وكذلك كان إبراهيم وبنوه : إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، كانوا جميعًا مسلمين ، وتواصوا وذرياتهم أن يكونوا مسلمين : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ، وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٣٠ - ١٣٣] .

وكان بنو إسرائيل الذين آمنوا بالله حقا وبعبده المرسل موسى مسلمين : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [سورة يونس : ٨٤] .

وكان سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى - رسولاً من الله - مسلمين ، إذ قالوا لفرعون ، في تحد وثبات : ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٢٦] .

وكان جميع أنبياء بني إسرائيل مسلمين . هكذا يقول الله في القرآن : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ، يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ [سورة المائدة : ٤٤] .

وكذلك كان حواريو المسيح وتلاميذه مسلمين : ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٥٢] .

من أجل ذلك كان الحق الذي لا مرية فيه ، هو قول الله في القرآن : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٩] .

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . [سورة آل عمران : ٨٥] .

ولقد قال محمد رسول الله ﷺ فى حقيقة وحدة الدين : « الأنبياء أخوة ، أبناء علاَّت ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد » (أخرجه الشيخان) .

وعلى ضوء ما قدمنا ، وخاصة عند الحديث عن تعريف كلمة الإسلام ، نجد توافقا بين دعوة الأسفار ودعوة القرآن إلى الإسلام . ففى سفر أيوب : « هوذا الله فى علو السموات .. **تعرَّف به واسلم** . وبذلك يأتيك خير . اقبل الشريعة من فيه ، وضع كلامه فى قلبك » . (أيوب ٢٢ : ١٢ ، ٢١ - ٢٢) .

* *

ثانيا : عقائد وتعاليم أساسية فى الإسلام

الإيمان الكامل

هو الإيمان بالله وملائكـته وكتبه ورسله واليوم الآخر يوم البعث والجزاء : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ من رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ، كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٥] .

أما الذين : ﴿ يُرِيدُونَ أن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقًّا ، وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [سورة النساء : ١٥٠ – ١٥١] .

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٣٦] .

فحقيقة الدين ليست طقوسا وحركات جوفاء ، لكنها إيمان كامل وقر فى القلب وصدّقه عمل صالح :

﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ، وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧] .

تلك هى عناصر الإيمان بوجه عام ، والآن نعرض بعض هذه العناصر بشىء من التفصيل .

* *

١ - الله

هو الإله الواحد الأحد ، الذى تنزه عن الشبيه والمثل : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٣] .

﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص] .

ولقد قال محمد رسول الله ﷺ إن سورة الإخلاص هذه تعدل ثلث القرآن .

وهو أرحم الراحمين حقًّا ، فهو أرحم بالإنسان من رحمة الأم بوليدها :

﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [سورة الانعام : ٥٤] .

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾ [سورة الأنعام : ١٤٧] .

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [سورة الاعراف : ١٥٦] .

وهو الذى يغفر ذنوب الإنسان جميعها مهما عظمت ، دون واسطة أو شفيع : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ ، إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة الزمر : ٥٣] .

لكن ذنبا واحد لن يغفر للإنسان ، وهو أن يلقى ربه وقد أشرك به شيئًا :

﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ، وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء : ١١٦] .

والله أقرب للإنسان من مكونات جسده :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [سورة ق : ١٦] .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٨٦] .

ولقد غفر الله خطيئة آدم ، بعد أن قبل توبته واستغفاره :

﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ [سورة طه : ١٢٢]

﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[سورة البقرة:٣٧] .

ولذلك لا يوجد فى الإسلام ما يقال عن خطيئة أصلية يتوارثها الأبناء عن الآباء : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[سورة المدثر : ٣٨] .

﴿ مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ ، وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[سورة الإسراء : ١٥] .

والله ليس إلّها اختص بقبيلة من القبائل أو شعب من الشعوب ، ثم ترك الآخرين دون هدى ورحمة . فلقد اقتضت رحمته وعدله أن يبعث رسله إلى كل الأمم ، ما نعلم وما لا نعلم :

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[سورة فاطر : ٢٤] .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [سورة النحل : ٣٦] .

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ... ﴾ .

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ... ﴾ .

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ ... ﴾ [سورة هود : ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤] .

وما هؤلاء إلا جزء يسير من عدد هائل من رسل الله إلى الناس : ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ، وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ، وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[سورة النساء : ١٦٤ - ١٦٥] .

* *

٢ - الأنبياء

هم القدوة والمثل الصالحة ، اصطفاهم الله وجعلهم هداة للبشرية ، ولهذا يؤمن بهم كل مسلم ويتخذ من سيرهم العطرة وجهادهم المتواصل نماذج تحتذى .

يقول الله عن نوح وإبراهيم ومن صلح من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾ [سورة الأنعام : ٨٣] .

﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ، وَمِن ذُرِّيَّتِهِ ، دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ ، كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ، وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الأنعام : ٨٤ - ٨٧] .

* *

٣ - الإنسان

هو من بين أكرم الخلائق عند الله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [سورة الإسراء : ٧٠] .

ويتفاضل الإنسان عند الله بعمله وتقواه ، لا بنسبه ولونه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [سورة الحجرات : ١٣] .

وليحيا الناس فى مودة وسلام ، فذلك خير لهم جميعا :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢٠٨] .

وعلى الناس أن يتعايشوا فى سلام ، وألا يكون اختلاف الدين سببا للعداوة والبغضاء فالحق يقول :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة هود : ١١٨] .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِى الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ، أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوْا مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يونس : ٩٩] .

﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ ، قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٦] .

﴿ لاَّ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [سورة الممتحنة : ٨] .

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة التوبة : ٦] .

وإذا كان الله قد تفضل على الإنسان فجعله خليفة فى الأرض ، يعمرها ويستثمر خيراتها ، فليس مجال عمله مقصورا على الأرض فقط ، بل إنه يمتد عاليا ليشمل السماء : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الجاثية : ١٣] .

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوَ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ * وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ، وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [سورة لقمان : ٢٠ - ٢٢] .

* * *

ثالثا : الموقف مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى

مخاطبتهم كطرف فى قضية الإيمان بالله ورسالاته :

جعل الإسلام لأهل الكتاب من اليهود والنصارى منزلة خاصة فى المعاملة والتشريع ، باعتبارهم يتوارثون كتبا نزلت أصولها الأولى من الله إلى عباده المكرمين من الأنبياء والمرسلين . ومن الطبيعى أن يصدّق القرآن على ما يوجد من حق فى تلك الكتب ما دام المصدر واحدا ، وهو الله ، فيزيد المؤمنين من أهل الكتاب إيمانا بآيات الله ، ويدفعهم إلى تعضيد نبى الإسلام الخاتم فى مواجهة المشركين وعبدة الأوثان . ولهذا توجه القـرآن إليهم بالخطاب الكريم مرات ومرات ، فقال :

﴿ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ، وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِى ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّاىَ فَاتَّقُونِ * وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٤٠ – ٤٢] .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ ، فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٦٤] .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ ، فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ ﴾[سورة المائدة : ١٩]

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ، مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ الَّيْلِ وَهُمْ

يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ١١٣ - ١١٥] .

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٧] .

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٤٦] .

ولا يتسع المجال هنا للحديث عن نبوءات النبى الخاتم فى الأسفار ، ولكن نكتفى بإشارة مقتضبة لبعضها حيث يوصف بأنه :

● **نبى مثل موسى** - ليس من بنى إسرائيل - ولكنه من بين إخوتهم أى من أبناء عمومتهم (١) ، يضع الله كلامه فى فمه ، فلقد قال الرب لموسى : « **أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك** واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به - تثنية ١٨ : ١٧ » .

● **النبى الذى كان ينتظره اليهود على عهد يوحنا المعمدان كواحد من المنتظرين الثلاثة :**

« وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه : من أنت ؟ .

---

(١) تعتبر الأسفار أن ذرية الأحفاد يعتبرون أخوة لذرية الأحفاد الذين يشتركون معهم فى الجد الأكبر . ومن أمثلة ذلك قول الرب لموسى : « أوص الشعب قائلا : أنتم مارون بتخم اخوتكم بنى عيسو الساكتين فى سعير - سفر التثنية ٢ : ٤ » .

لقد كان عيسو ويعقوب (إسرائيل) أخوة ، وكان أبناء الجيل الأول لكل منهما أبناء عمومة للآخرين . وعلى عهد موسى دعى أحفاد كل منهما أخوة لأحفاد الآخرين .

فاعترف ولم ينكر وأقر : أنى لست أنا المسيح .

فسألوه : إذا ماذا ؟ إيليا أنت ؟ .

فقال : لست أنا .

النبى أنت ؟ .

فأجاب : لا - إنجيل يوحنا ١ : ١٩ - ٢١ » .

● **المعزى روح الحق الذى بشر به المسيح :**

« أنا اطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر .. روح الحق - إنجيل يوحنا ١٤ : ١٦ - ١٧ » . ويقرر يوحنا فى رسائله أن روح الحق هو إنسان مؤمن حقًا ، فيقول :

« نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ، ومن ليس من الله لا يسمع لنا . **من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال - (١) يوحنا ٤ : ٦** » .

* * *

إعطاؤهم وضعا متميزا فى التعامل والعلاقات :

﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت : ٤٦] .

ويبيح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب ، والأكل من ذبائحهم ومصاهرتهم والتزوج من نسائهم . وبهذا أباح للمسلم أن تكون شريكة حياته وأم أولاده غير مسلمة وأن يكون أخوال أولاده وخالاتهم من غير المسلمين . ويكون لهذه الزوجة الكتابية القيام بفروض عباداتها والذهاب إلى معبدها أو كنيستها لممارسة شعائر دينها :

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ، وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ، الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [سورة المائدة : ٥] .

* * *